المصطلح القرآني وعلاقته بعلم الاجتماع

د. عبد الحميد البكدوري الأشقري (*)

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

«الحمد الله الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت، العالم فلا يغرب عنه ما تظهره النجوى أو يخفيه السكوت، القادر فلا يعجزه شيء في السموات والأرض ولا يفوت، أنشأنا من الأرض نسما واستعمرنا فيها أجيالا وأمما، ويسر لنا منها أرزاقا وقسما، تكنفنا الأرحام والبيوت، ويكفلنا الرزق والقوت، وتبلينا الأيام والوقوت، وتعتورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت، وله البقاء والثبوت، وهو الحي الذي لا يموت، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكتوب في التوراة والإنجيل المنعوت، الذي تمحض لفصاله الكون قبل أن تتعاقب الآحاد والسبوت، ويتباين زحل واليهموت، وعلى آله وأصحابه الذين لهم في صحبته وأتباعه الأثر البعيد والصيت، والشمل الجميع في مظاهرته ولعدوهم الشمل الشتيت، صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالإسلام جده المبخوت، وانقطع بالكفر حبله المبتوت، وسلم كثيرا [1]».

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا}[2]

---

* مدير الإدماج الاجتماعي بكتابة الدولة المكلفة بالأسرة والطفولة والأشخاص المعاقين – الرباط المغرب.

1- مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتب العصرية، 2003 ص 9

2- سورة الكهف، آية: 1.

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}[1]

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "سَتَكُونُ فِتَنٌ. قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ :كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ ،هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ اَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أَنْ قَالُوا: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْاٰنًا عَجَبًا. هُوَ الَّذِي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم".[2]

ونقرأ في الورقة التقديمية للمؤتمر: «وما اجتمعت هذه الأمة ولن تجتمع يوما إلا على الرؤية الجامعة والمنهاج الجامع والشخصية الجامعة. وكل ذلك في القرآن أو من صنع القرآن. ومفاتيح القرآن التي أضاعت الأمة بالتدريج عددا من نسخها الأصلية عبر القرون، هي مصطلحاته الحاملة لمفاهيمه المكونة لأنساقه الصغرى والكبرى والنسق العام الكلي. وهي هي أبواب "علم القرآن" الذي هو العلم. "وإنما أبواب كل علم مصطلحاته".

ولن تُسترجع حق الاسترجاع إلا بـ "إقامة المصطلح الأصل وما تقتضيه". ثم بتتبع آثارها سلبا وإيجابا في "المصطلح الفرع": مصطلح علوم الأمة متفاعلة مع الزمان والمكان والإنسان عبر القرون، ثم بتصور حضورها في مختلف

1- سورة المائدة، آية: 48.

2- صححه الألباني موقوفا على ابن مسعود ﷺ

أصناف العلوم: الشرعية والإنسانية والمادية ضمن الرؤية الجامعة الصانعة لغد الأمة» .

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}[1]

{وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}[2].

{قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌوَكِتَابٌ مُّبِينٌ يهدي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}.[3]

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ} [4]

والآيات ترى في هذا الباب، فكلمة الله هي الكلمة، والمفهوم القرآني هو المفهوم، ومصطلحه هو المصطلح، "وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى"[5]، لأنه خير مدلول، ويتخطى الزمان والمكان.

يقول بعض المفسرين لقوله تعالى: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ، إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}** [6]، زيادة على الفرائض والنواهي[7]، إن مدلول الأمانة هنا هو "إدخال الوحي في شتى مناحي الحياة"، فيمتزج معها فتصبح ربانية، و**{تُؤْتِي أُكُلَهَا**

1- سورة النساء، آية: 122.

2- سورة الكهف، آية:27 .

3- سورة المائدة، آية: 15.

4- سورة الزمر، آية:23.

5- سورة الشورى، آية: 33.

6- سورة الأحزاب، آية: 72.

7- قال الطبري: "الأمانة ما افترضه الله على الإنسان، إن قام به جوزي وإن لم يقم به عوقب".

كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}[1]، ومن باب أولى أن يدخل الوحي العلوم، وخاصة الإنسانية منها، لأهميتها ودورها الخطير في بناء المفاهيم والتصورات.

{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي}[2]

هذه الكلمات في فهمنا الإنساني-مفاهيم ومصطلحات، إلا أن لها خصوصية متفردة لكونها كلام رب العالمين.

إن الخوض في كتاب الله عز وجل يستدعي الإلمام باللغة العربية، ومعرفة المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني ... إلخ، وليس لي في هذه المجالات لا حول ولا قوة، فمعذرة ان أخطأت، وبفضل الله إن اقتربت من الصواب.

لما طلب مني أن أعد مداخلة عن علاقة المصطلح القرآني بعلم الاجتماع، غامرتني الظنون والشكوك، هل درايتي بكتاب الله العزيز كافية، وهل إحاطتي بعلم الاجتماع شاملة؟ فتهيبت من ذلك، ورجعت إلى نفسي أسائلها: هل أكون من أصحاب الاعتذار أم أحاول أن ألحق بركب أهل الاقتدار؟ والاعتذار والاقتدار سيان عند من يعرف قدر نفسه فيقف عنده. وقفت بين خوف ورجاء، خوف من مزالق القول بالرأي في القرآن أو الإنتاج المجانب للصواب، ورجاء في العمل على تثويره وتنوير نفسي بنوره. فركبت التوكل، وعقدت العزم، واستلهمت الهداية، ورجوت التوفيق.

1- سورة إبراهيم، آية: 25.

2- سورة الكهف، آية: 109.

ففتحت كتاب الله العزيز فوجدته كماً سبعة وسبعين ألف كلمة وأربعمائة وتسعا وثلاثين كلمة[1]، ووجدته رسما ومعنى بحراً زاخراً، يغشاه نور من فوقه نور ومن تحته نور، **{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ الله نُورٌوكِتَاب مُبِين}**[2] ،**{فَالذِينَ أَمَنُوا بِهِ وَعَزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَبَعُوا النُّورَ الذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمْ المُفْلِحُونَ}**[3] **{وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُورَا فَمَالَهُ مِنْ نُورٍ}**[4].

فقلت اقتباساً :

لما نظرت إلى أنـــــواره سطعت وضعت من خيفتي كفي على بصـــري

خوفا على بصري من وهج حجته فلست أنظــره إلا على قـــــــدر

الأنوار من نوره في نـــوره غـرقت والآي منه مثل طلوع الشمس والقمر

فنظرا لضيق وقت التحضير وقلة الإلمام، اكتفيت بالتطرق إلى البعض القليل من المصطلح القرآني الذي وجدت أنه على صلة بعلم الاجتماع.

إشكاليات

1- عندما يستعمل علم الاجتماع مصطلحا قرآنيا، هل يستعمله انطلاقا من هذا النعت، أم يعتبره كأي مصطلح آخر مبثوث في لسان العرب؟

2- عند استعمال المصطلح القرآني من طرف علم الاجتماع هل يستمر هذا المصطلح في الدلالة على مفهومه القرآني أم يحمل مضمونا آخر؟ وبلغة

1- هذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن مجاهد رحمه الله

2- سورة المائدة، الآية 15

3- سورة الأعراف الآية: 157

4- سورة النور الآية: 40

أهل علم المصطلح: هل يحتفظ المصطلح القرآني في هذا الإطار ببعده اللغوي وبعده المرجعي وبعده المفاهيمي؟

3- هل الجهاز المصطلحي لعلم الاجتماع في حاجة للدلالة عل تصورات جديدة ومفاهيم مستحدثة للمصطلح القرآني؟

4- اللغة " جارية على الاستخدام، قائمة على التطور، نزاعة إلى متساوقات حاجات الإنسان وتقلب صنيعه في الزمن والمكان "[1]، فهل يجاري المصطلح القرآني هذا التقلب، أم هو حمال لمضامين متعددة يكفي للمشتغل بعلم الاجتماع أن يبحث عنها ويخرجها من الأذهان إلى الأعيان عبر اللسان؟

5- لماذا نتكلم عن المصطلح القرآني وصلاحية استعماله في مجال علم الاجتماع، وهو محدود كمًّا بين دفتي المصحف، ومفهوما في مختلف المعاني المبثوثة في كتب التفاسير. فكيف للمحدود أن يساير المتجدد المتمطط وتغير الوقائع وأحول الاجتماع الإنساني؟

6- هل من الممكن تتبع ما ينتج كمصطلحات على الصعيد العالمي في مجال علم الاجتماع وتعقبها والبحث في مدلولها.[2] وتزداد هذه الصعوبة استفحالا مع ضعف الترجمة إلى العربية. يقول الأستاذ مونجي بوسنينة: " لم يترجم العرب أجمعون منذ زمن الخليفة العباسي المأمون إلى غاية القرن العشرين سوى 100 ألف كتاب. هذا العدد حققه الإسرائيليون في أقل من 25

1- العربية والإعراب، عبد السلام مسدي، ص 33.

2- مثلا: مصطلح " الحقل الديني " هو مفهوم أصله عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، ونقله إلى المجال التداولي المغربي الباحث المغربي محمد الطوزي. ذكره نور الدين لشهب في مقاله: علماء البلاط ومحاربة الإرهاب... خلفيات القصور وسياقات الشغور – عن جريدة هسبريس، السبت 17 مارس 2017.

سنة، وحقق نفسه البرازيليون خلال 4 سنوات، أما الاسبان فحققوه في سنة واحدة."[1]

منطلقات

لماذا المصطلح القرآني؟

1.يقول جلال الدين السيوطي رحمه الله: "فألفاظ القرآن هي لُبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم"[2] فالمصطلح القرآني هو المرجع، واللغة العربية هي الوعاء الجامع، التي ما كان يمكن لغيرها "أن تكون المهد الذي تنشأ فيه المعجزة الكبرى في تاريخ البشرية" [3]، كما يقول محمد عبد الواحد حجازي، و**{الله أعلم حيث يجعل رسالته}** [4]

2.الرجوع إلى الأصل أصل "... ومنذ أجيال وأجيال، حيل بين الأمة وكتاب ربها بأشكال فكان ما كان، ولتعود المياه إلى مجاريها يجب إعادة وصل الإنسان بالقرآن وإحلال القرآن في الإنسان..."[5]

"وباليت قومي يعلمون بأن "المسألة المصطلحية" هي قلب الإشكال ومفتاح الإقلاع ومحرك التجديد، وذلك بأنها تتعلق ماضيا بفهم الذات،

1- رهانات القرن العشرين، مونجي بوسنينة، الطبعة الأول، الالكسو، تونس 2007، ص 79

2- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابلي الحلبي وشركاؤه، ج 1 ص:201.

3- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، محمد عبد الواحد الحجازي-الطبعة 2ص.10

4- سورة الأنعام، الآية 124

5- نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 8، ص.3

وحاضراً بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات"[1]، فباستعمال المصطلح القرآني نحافظ على الأصل ونعزز الهوية ونستعمل أفضل مبنى لأحسن معنى.

3.المصطلح القرآني معجز من حيث مبناه ومعناه، فهو يمثل الصدق والحق واليقين، ولا تشوبه الأهواء، ولا تعتريه الظنون، **{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}**[2]

4.انفراد المصطلح القرآني بالإعجاز التأثيري من دون سائر المصطلح. وللدكتور عبد الكريم الخطيب[3] كلام بديع في هذا الإعجاز حيث يقول : «إن كلمات القرآن التي كانت على فم الناس، كان لها رحلة إلى الملأ، من الأرض إلى السماء، من أفواه الناس إلى عالم الروح، والحق والنور، وهناك في هذا العالم / عالم الروح والحق والنور / عاشت تلك الكلمات دهراً طويلاً بين ملائكة، وولدان، وحور، فنفضت عليها هذه الحياة الجديدة، روحاً من روحها، وجلالاً من جلالها ونوراً من نورها، حتى إذا أذن لها الحكيم الخبير أن تعود أدراجها إلى الأرض، وتلقى في أفواه الناس مرة أخرى، وتطرق أسماعهم، وتتصل بعقولهم وقلوبهم، لم ينكروا شيئاً من وجودها، وإن سرى إليهم من هذا الوجود ما يخطف الأبصار ويخلب الألباب، فالمؤمنون في شوق متجدد معه، وفي خير متصل منه، وفي عطاء موصول من ثمره، كلما مدّوا أيديهم قطفوا من أدبه أدباً عالياً، ومن علمه علماً نافعاً، ومن شريعته ديناً قيّماً، وغير المؤمنين في

1- نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 3، ص3.

2- سورة سبأ، الآية 6

3- مفكر إسلامي معاصر، اسمه الكامل عبد الكريم محمود يونس الخطيب .ولد سنة 1910م (1328ه) ، في محافظة سوهاج من صعيد مصر. توفي سنة 1406ه، 1985م. أهم آثاره: " التفسير القرآني للقرآن " 16 مجلدا " قضية الألوهية " جزآن " إعجاز القرآن " جزآن " التعريف بالإسلام " " المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل " " القضاء والقدر " " بين الفلسفة والدين " " السياسة المالية في الإسلام " .

عجب من أمره ودهش. يتناولونه بألسنة حداد، ويرمونه بسهام مسنونة، وبكيد عظام، فما يصل إليه من كيدهم شيء[1]

لماذا علم الاجتماع؟

1.للإجابة عما طلب في إطار هذا المؤتمر من رصد حضور المصطلح القرآني في الجهاز المصطلحي لعلم الاجتماع.

2.لكون علم الاجتماع، في صورته الطاغية اليوم، أحد العلوم الاجتماعية الأكثر تأثيراً في الساحة ولكونه ما يزال يتشكل شيئا فشيئا، لحداثته بالنسبة لبعض العلوم الإنسانية الأخرى.

3.لكون النص القرآني في حد ذاته نصاً إلاهياً في الإصلاح الاجتماعي.

ومما يجب التأكيد عليه هو " أن الوحي قرآنا وسنة مجموعة من المفاهيم، إذا حصلت كليات الدين، وإذا لم تفقه، لم يفقه الدين"[2]. والمصطلح القرآني لا يمكن فهمه إلا في إطار نسقه المفاهيمي، "وضرورة فقه النسق، كضرورة فقه المفاهيم لفقه الدين"[3]. وإذا أصابت التشوهات التصورات، يجب الرجوع إلى المفهوم والتشبع بمعناه ومقصده، داخل النسق العام المنظم للنص القرآني.

المصطلح القرآني وعلم الاجتماع

■ رجوعا إلى أحد أهداف المؤتمر وهو: " بيان حضور القرآن الكريم في مختلف علوم الأمة"، نحاول من خلال هذه المداخلة، انطلاقا من مبدأ أن كل

1- انظر موقع: http://quran-m.com/quran/printarticles/2487

2- القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 4، سنة 2002، ص6.

3- نفس المصدر السابق، ص7

ما يحدث إنما يحدث داخل المجتمع، إثارة بعض الجوانب المتعلقة بتساؤلات عدة، من قبيل هل كان للمصطلح القرآني علاقة تأثير في صناعة المصطلح المستعمل في علم الاجتماع؟ وهل كان المصطلح القرآني حاضراً في مجال علم الاجتماع ثم غاب، أم تم بناء مصطلحات جديدة بتصورات ومفاهيم جديدة في علم الاجتماع لا تمتُّ إلى المصطلح القرآني بصلة، وهل يمكن للمصطلح القرآني، بكونه من صناعة الوحي، أن يجد مجالا للتمكن والتوسع في حقل علم الاجتماع ذي الطبيعة الوضعية حاليا؟ وهل يمكن استعمال المصطلح القرآني في مجال علم الاجتماع من ضمان غلبة المفهوم والنهج العلمي المجرد الحق على المفاهيم والمصطلحات التي وضعها أصحابها وهم تحت تأثير واقع اجتماعي وسياسي وأخلاقي واقتصادي معين؟ ولا يمكنني أن أزعم هنا أنه بمقدوري الإجابة عن كل هذه التساؤلات، لكنها شغلت بالي فطرحتها.

■ الفراغ المصطلحي في علم الاجتماع لا يمكنه من اقتحام مجال لا يهتم به وهو تنظيم علاقة الإنسان بخالقه، هذه العلاقة تهيمن على تصور الإنسان للكون، وتحدد وضعية ومكانة كل فرد داخل المجتمع. وهنا ينفرد ويتفرد المصطلح القرآني.

■ يقول المثل اللاتيني "حيث يوجد مجتمع يوجد قانون"[1]، والقانون هو مجموعة من المفاهيم والمصطلحات التي تنشأ في البيئة الاجتماعية أو تغرس فيها، ثم تصير بعد ذلك منظمة لهذه البيئة ومحددة لمعالمهما المستقبلية، ويستمر التفاعل على هذا المنوال. والقرآن الكريم مؤطر للمنظومة القانونية، وأثر النظريات المنبثقة عن علم الاجتماع على المجتمعات الحالية كبير، وصلب

1- «Ubi societas ibi jus »

هذه النظريات مفاهيم ومصطلحات، ومن مصلحة البشرية أن تأوي هذه المفاهيم والمصطلحات إلى ركن شديد.

■ علم الاجتماع يبحث في الحقائق الاجتماعية بآليات قد تكون ملائمة أو غير ملائمة، والقرآن الكريم يقدم حقائق الأشياء، بقطعيه ثبوته وبمضامين الحق المطلق التي يَشتمل عليها.

■ علم الاجتماع علم نسبي يقل فيه اليقين وتكثر فيه الأطروحات والنظريات، لذا، من منحى المفاهيم، يجب التوجه إلى مصدر أعلى يثق فيه المشتغل بعلم الاجتماع ويتخذه موجها له في المبنى والمعنى. وليس هناك أثبت من القرآن الكريم مفاهيميا ومصطلحيا، ليس لكونه يتسم بالدقة والموضوعية فحسب، ولكن لكونه كلام الله تعالى، وهو روح الأمة[1].

■ بحسب أحد فلاسفة العلوم الغربيين الكبار في القرن العشرين، گاستون باشلار[2]:"ليست هناك حقائق أولى، بل أخطاء أولى"[3]، نظرا لعدم قدرة الإنسان على اكتشاف الحقائق للوهلة الأولى، وأن العقل العلمي يمر في تكوينه عبر مرحلة

■ الأخطاء الأولى، **{فأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ}**[4]، حيث اختصر الحق سبحانه وتعالى الطريق عليهم، وأمدهم بحقائق ثابتة عبر مفاهيم ومصطلحات القرآن الكريم.

1- انظر كتاب: القرآن روح الأمة، للشاهد البوشيخي

2- Gaston Bachelard گاستون باشلار، فيلسوف فرنسي ولد سنة 1884 وتوفي سنة 1962

3- عبد السلام عبد العالي، باشلار والمعرفة-الضد. موقع مؤمنون بلا حدود.

4- سورة البقرة، الآية 26

■ هناك مجالات يعترف علم الاجتماع نفسه أنه لا يمكن إخضاعها لمناهج بحث "علمه الدقيق"، وأن اقتحامه لها يكون عن طريق التخمين والظن، كنشأة الأديان، وأصول اللغات، وظهور النظم الاجتماعية. بينما يحسم النص القرآني في مجالات عدة كهاته، **{وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}**[1].

لماذا أولية المصطلح القرآني:

إن سمو المصطلح القرآني يؤهله للهيمنة على ما سواه من كثير من مصطلحات علم الاجتماع، وذلك لاعتبارات متعددة نذكر من بينها:

1- مسألة التعارض بين النظريات الاجتماعية تعتبر من القضايا الشائكة التي تثار ضد علم الاجتماع، و " يبلور هذا التعارض من خلال إبراز نوع العوامل التي تستند إليها كل نظرية في تفسير التغيرات الاجتماعية. بعض النظريات تعتبر الذكاء الإنساني عاملا حاسما في إحداث التطور الاجتماعي، بينما هذا الذكاء نفسه عند آخرين، متغير تابع لعوامل أخرى. العامل الديني، أو البيئي أو الاقتصادي أو الاجتماعي"[2]. ولا تعارض نظري ولا مفاهيمي بين مصطلحات القرآن الكريم.

2- مسألة التحيز التي كانت سببا في تسديد سهام النقد لعلم الاجتماع عندما يقدم بعض التفسيرات لظواهر ووقائع اجتماعية، حيث يتجلى مفهوم التحيز في التمركز حول الذات والانغلاق فيها، ورؤية العالم انطلاقا من التجربة

1- سورة يونس، الآية 36

2- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد أمزيان، المعهد العالي للفكر الإنساني، 1412 هـ/ 1991 م، ص 115

الشخصية الضيقة، ونفي الآخر خارج إطار التاريخ أو الوجود أو العلم، والسعي نحو استبدال هويته وماهيته بمحتوى يتفق مع الذات المهيمنة وأهدافها. وذلك من خلال نسق تراه، انطلاقا من هيمنتها، الأمثل طبقا لمنظورها الترابي الذي لا يتيح لها رفع رأسها إلى السماء. وهذا ما حدث بالفعل لعلماء اجتماع الغرب حينما أطلوا على العالم الإسلامي.

3- مسألة الحقيقة الهلامية، حيث إذا سلمنا جدلا أن العلوم الطبيعية المادية فيها حقائق ثابتة أو لها قوانين ثابتة، فبالنسبة لعلم الاجتماع، حيث لا توجد تجربة مخبرية، لا يمكن الحديث عن حقائق أو قوانين ثابتة. فبالأحرى عن مفاهيم قطعية الدلالة والثبوت. ومفاهيم القرآن الكريم قطعية الثبوت وفي غالبيتها العظمى قطعية الدلالة.

4- مسألة قطبية المنهج الإلاهي والمنهج الوضعي، حيث يهرب علم الاجتماع من الوحي بحكم ما يمليه منهجه الوضعي، إلا إذا كان الوحي موضوع درس علم الاجتماع من جملة مواضيع أخرى، وليس كمرجع ثابت يحتوي على تفسيرات وحقائق اجتماعية مطلقة. والمنهج الوضعي له مفاهيمه ومصطلحاته، والمصطلح القرآني بقطعيته خير وأبقى.

5- مسألة المنهج المعياري والمنهج الوضعي، حيث صهر الفكر المعاصر علم الاجتماع في المنهج الوضعي ونآى به عن المنهج المعياري الرباني. هذا بالإضافة إلى أن المنهج الوضعي يزج بعلم الاجتماع في النظرة الأحادية والجزئية، بينما يدعو القرآن الكريم إلى النظرة الشمولية التي تشمل العالمين، ومن هذا المنحى كان مصطلحه أشمل وأرقى. ويمكن التأكيد على أنه عندما تصاغ

تصورات الحياة الاجتماعية وفق نموذج ومفهوم معينين انطلاقا من المفهوم القرآني، فإنها تتطابق مع ما يقول به عقلاء علماء الاجتماع.

6- مسألة محدودية "العلم " ورحابة الوحي، ونقصد بالعلم هنا علم الاجتماع، وهل يمكن أن نسميه تجاوزا "علما". فلقد كان هناك سجال كبير حول " علمية " علم الاجتماع، حيث أن هناك من قال: لا حاجة لنا بعلم الاجتماع لا في شكله العام ولا حتى بعد تأصيله، بل أسماه خرافة القرن العشرين[1]. ومما يزيد الأمور تعقيداً أن علم الاجتماع لا يستند على موقف نظري موحد، وأن أصحابه لم يتحرروا من انتماءاتهم القيمية والاجتماعية، وأنه يعرف من خلال مفاهيم لا يمكن تعريفها إلا من خلال علم الاجتماع نفسه. ينعته البعض ب "العلم الذي لا موضوع له " حيث تذهب بعض التيارات السوسيولوجية إلى أنه ليس ثمة وجود موضوعي مادي لما نطلق عليه " المجتمع". نطلق اسم المجتمع عندما يتواجد الأفراد معا... أما الوجود الحقيقي فهو الوجود الفردي. الأفراد هم الموجودون بالفعل أما المجتمع فهو موجود بالاسم[2]. وكان الأستاذ عبد اللطيف الحجامي رحمه الله يقول: "ما نسميه اليوم علما لا يعدو أن يكون سوى تقنية وصنعة، إنما العلم ما يوصلك إلى الحقائق المطلقة الصادرة عن العلام الحكيم حيث يكون هو مصدرها وأنت طالبها"[3]. ومرد العلم بهذا المفهوم "... إلى ما ينبغي له من الوحي الذي هو العلم"(4)، **{وَلَئِن اتّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم يَعد الَّذِينَ جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَالَكَ مِنَ الله**

1- التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع، إشكالية المفهوم والمنهجية، عبد العزيز بن علي بن رشيد الغريب، موقع الحوار اليوم، 2013

2- أسس علم الاجتماع، محمود عودة، الدار النهضة العربية – بيروت – ص 29

3- قال هذا الكلام خلال حوار خاص دار بيننا

4- نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 6، ص 16

مِنْ وَلِيّ وَلاَ نَصِير}[1] إن منطق الأشياء يدعو إلى هيمنة الوحي في شموليته ويقينيته على محدودية الصنعة البشرية التي تسمى تجاوزا " علما ".

حضور المصطلح القرآني في الجهاز المصطلحي لعلم الاجتماع

لم أستطع الغوص لأستجلي هذا الحضور في تاج العروس[2] أوفي لسان العرب[3] لضيق الوقت وقلة الزاد، وأسأل الله أن يعينني على ذلك فيما سيأتي من أيام.

لذا انحسر استجلاء هذا الحضور في " المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية: الفلسفة -الاجتماع والأنثروبولوجيا-التربية -الصادر عن مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1997. ثم انكببت على البحث عن المصطلح القرآني وتتبع أثره في بعض الكتب التي تتعلق بعلم الاجتماع أو تخوض في موضوعاته.

وهكذا فقد أحصيت من أصل ألف ومائتين وستين (1260) مصطلحا، مائة واثنين وسبعين (172) مصطلحا قرآنيا أو ذا أصل قرآني في المعجم الموحد لمصطلحات العلوم الإنسانية (جزء علم الاجتماع) وهي كالتالي:

وهَنُ الإرادة - Aboulie	التبرئة (باليمين) – Compurgation	الوسطية - Modération
حكم ملك - Règne	الصلح - Conciliation	منهج - Méthode
فئة - Classe groupe	عقد - Contrat	المدينة - Ville

1- سورة البقرة، الآية 120

2- تاج العروس من جواهر القاموس، عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، 40 مجلداً

3- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، 18 جزءاً

عدوان - Agression	معاهدة - Convention	أقلية - Minorité
ولاء - Allégeance	عقيدة - Dogme	توحيد - Monothéisme
إيثار - Altruisme	جريمة - Crime	أسطورة - Mythe
تميمة - Amulette	تخلف - Retard	حرب - Guerre
عبادة - Culte	شعوب - Peuples	فقر - Pauvreté
أسلاف - Ancêtres	حتمية - Déterminisme	صلاة - Prière
نشوز - Anomalie	تطور - Evolution	تنبؤ - Prédiction
ولاء - Allégeance	جدل - Dialectique	قومية (قوم) - Nationalisme
ثنائية وجدانية - Ambivalence	تمييز - Discrimination	تأميم - Nationalisation
غضب - Colère	طلاق - Divorce	تغيير - Changement
كرب - Angoisse	سيادة - Domination	حاجة - Besoin
استعداد - Aptitude	صفوة - Elite	سلبية - Négativisme
تحكيم - Arbitrage	حسد - Envie	بداوة (بدو) - Nomadisme
صانع - Artisan	مساواة - Egalité	إرث - Héritage
زهد - Ascétisme	نفس - Psychisme	شيخوخة - Vieillesse
رابطة - Association	مذهب (السعادة) – Eudémonisme	منبوذ - Paria
عصبة - Bande	هجرة - Emigration	سيماء (سحنة) - Physionomie
اعتقاد - Croyance	زمرة - (مشاكسة) - Faction	متعة - Plaisir

Natalité - نسل	Fatalisme - قدرية	Préjudice - تحيز
Fraternité - أخوة	Peur - خوف	Prévention - وقاية
Religion - ملة	Fétiche - وثن	Primarité - أولية
Dot - صداق	Faiblesse - ضعف	Primaire - أولى
Caste - طائفة	Vengeance - تأثر	Priorité - أسبقية
Caractère - خُلق	Force - قوة	Prohibition - تحريم
Clan - عشيرة	Don - هبة	Propensité - مَيْلٌ
Clique - ثلة	Gouvernement - حكومة	Propriété - ملكية
Coercition - إكراه	Grandeur - عظمة	Prophète - نبي
Cognation - رحم (قرابة)	Habitat - سكن	Prostitution - بِغاء
Collectivisme - جماعية	Hommo sapiens - إنسان	Punition - عقاب
Mariage - زواج	Humaniste - إنسي	Raison - عقل
Conjoint - زوج	Humanité - إنسانية	Rébellion - عصيان
Femme - إمرة	Idéalisme - مثالية	Régression - نكوص
Femmes - نسوة	Ignorance - جهل	Religion - ديانة
Compromis - تراضٍ	Analphabétisme - أمية	Responsabilité - مسؤولية
Imitation - تقليد	Intériorisation - استدخال	Retraité - تقاعد
Immortalité - خلود	Jugement - حكم	Révélation - وحي

غشيان المحارم - Inceste	عدالة - Justice	مقدس - Sacré
تحريض - Incitation	عمل - Travail	تحية - Salutation
فردانية - Individualisme	لسان - Langue	جزاء - Sanction
تفرد - Individualité	شرعة - Loi	رضى - Satisfaction
تفريد - Individualisation	تشريع - Législation	ادخار - Epargne
صنعة - Métier	النسب - Lignée	متشكك - Sceptique
تصنيع - Industrialisation	حب - Amour	مذهب الشك - Scepticisme
دونية - Infériorité	شهوة - Envie	فرقة - Secte
تأسس - Institutionnalisation	سحر - Magie	فاقد الإحساس - Insensible
المذهب - Courant	شورى - Shura	عبودية - Servitude
قصد - Intention	أكثرية - Majorité	قسوة - Sévérité
قصدية - Intentialité	وسط - Medium	سلوك اجتماعي - Comportement social
سببية اجتماعية - Causalité sociale	علم - السكون - Statique	نزعة التعالي - Transcendantalisme
تغيير اجتماعي - Changement social	عقم - Stérilité	خيانة - Trahison
عدالة اجتماعية - Justice sociale	تعقيم - Stérilisation	طغيان - Tyrannie
إصلاح اجتماعي - Réforme social	تعاقب - Succession	قرية - Village

نفس - Ame	ميل - Tendance	أضغاث أحلام - Rêvasserie
روح - Esprit	الاعتقاد بالإلاه - Théisme	
دولة - Etat	تعال - Transcendance	

ثم وجدت في الكتب والمراجع التي وقعت تحت يدي وتتعلق بعلم الاجتماع ما يربو على مائة وخمسين مصطلحا قرآنيا ومشتقاته فكانت كالتالي:

أمة، بشر، إنسان، ناس، دين، رعاء، مشيد، سيارة، تداول، علم، مسجد، مساكن، المَلِك، المُلْك الفحشاء، المعروف، المنكر، امرأة، رجل، نساء، شهداء، ظلم، عجم، نبأ، وسواس، وقر، أجير، عقد، تغيير، نميم، رعاية، رعية، الأعلون، مؤمنون، أخ، إمام، أئمة، إخوة، عصبة، مستضعفين، مستكبرين، كادح، ملوم، مسحور، الرزق، الكسب، أموال، بنين، تجارة، نعمة، فقر، إنفاق، إسراف، خوف، حزن، تثبيت، ذهب، فضة، كنز، أنانية، الميزان، التوازن، العنف، تبوء، الإيثار، الخصاصة، الشح، المسكين، اليتيم، الأسير، الحب، الكره، النفاق، الأرض، القوم، الوالدين، الأقربين، ذوي القربى، وسطا، الوسطية، المسؤول، الظن، الحق، أمم، الكرامة، الذكر، الأنثى، الشعوب، القبائل، شعب، المتقين، المسلمون، البر، الإثم، العدوان، المشرق، المغرب، ابن السبيل، السائل، الوفاء، الهلع، الجزع، الشر، المنع، منافع، العمران، الصنعة، المحروم، الحياة، الإيمان، القرى، المُصْلِح، الإصلاح، العصيان، التعدي، الظن، الحكمة، الموعظة، الخيانة، الأمانة، الطلاق، الرجعة، النشوز، الحكم، العدل، القسط، الكذب، الخلاف، الاختلاف، التخلق، التعصب، الحسنة، السيئة، العداوة، الولي، الأهل، المودة، الرحمة،

البعل، السكون، الهيمنة المعاشرة، خليفة، الشورى، الحتمية، الفطرة، الحزب، العمال، العِشرة، الشرعة، الشريعة.

ولا شك أن هناك العشرات من المصطلحات القرآنية الأخرى مبثوثة هنا وهناك في جوف الكتب لم أحصها، وأن ما اشتمل عليه المعجم الموحد السالف الذكر من مصطلحات علم الاجتماع إنما هو بعض من كل، لكونه ذي مدخل إنجليزي اعتمد فيه على مراجع أجنبية لا تتسم بالشمولية. كذلك الكتب والمراجع التي استعملتها إنما تمثل عينة بسيطة مما كان يمكن الاطلاع عليه وتتبع المصطلح القرآني في طياته.

إن المصطلح القرآني حاضر في المنظومة المصطلحية لعلم الاجتماع، إلا أن النظرة الغالبة ترجع به إلى اللسان العربي كمصدر أكثر مما ترجعه إلى كتاب الله العزيز. ذلك أن " العقل العلمي" المعاصر كما شِيءَ له أن يتشكل، يجعل من الدين موضوعا للبحث الاجتماعي والإنساني وليس تصوراً للكون، حاملا لحقائق ثابتة وتفسيرات يقينية. يقول محمد قطب رحمه الله: " وأنا أعلم أن الذعر يصيب بعض المشتغلين بالعلم حين يذكر اسم الدين." [1]

توثيق العلاقة بين مفاهيم ومصطلحات القرآن الكريم وعلم الاجتماع:

نظريا، هناك تفاعل كبير من اللازم أن يكون بين القرآن الكريم مفاهيميا ومصطلحيا وبين علم الاجتماع. فعلى سبيل المثال يعتبر التاريخ مختبرا لعلم الاجتماع عند المشتغلين به، والقرآن الكريم بقصصه يقدم لنا هذا المختبر، ليس فقط كآلية للفهم والتشخيص وإنما كذلك لتقديم التفسيرات والخلاصات والنتائج، التي غالبا ما تستعصي على منهج علم الاجتماع الظني

1- الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، دار الشروق، الطبعة 5، 1978، ص 10

غير القطعي. فيفتح القرآن الكريم هنا، انطلاقا من مصطلحاته ومفاهيمه، آفاقا رحبة لعلم الاجتماع لكي يتطور ويترسخ. فمثالا وتأصيلا يمكن التأكيد على أن مصطلحي " الفهم " و " التفسير" الذين يعتمد عليهما علم الاجتماع في دراسته الظاهرة الاجتماعية يتجليان بوضوح في قوله جل وعلا: **{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}**[1]، وقوله تعالى على لسان صاحبي السجن **{نَبِّئْنَا بِتَاوِيلِهِ}**[2].

منهجية توثيق هذه العلاقة:

لا غرو في أن المنهج السليم الصحيح هو الذي يفضي إلى النتائج السليمة الصحيحة. ولسنا هنا بصدد تقديم نموذج منهجي جديد بهذا الخصوص، بقدر ما نستلهم من مناهج من سبقنا من علماء الأمة، لأنه وفي كثير من الأحيان تكون حاجتنا إلى أن نتذكر ما نعلم أكثر من حاجتنا لأن نتعلم مالا نعلم.

المثال الأول: منهجية معاذ بن جبل ﷺ في مرجعتيه عندما بعثه رسول الله ﷺ قاضيا إلى اليمن وسأله بم يقضي، قال "بكتاب الله" ثم " بسنة رسوله " ثم أجتهد رأيي" وقد أقره الرسول ﷺ على هذه المنهجية. فحضور المصطلح القرآني في الجهاز المصطلحي لعلم الاجتماع، لا يكون حضورا فعليا إلا إذا عملنا على جعل هذا الحضور أمراً واقعا بإدخال المصطلح القرآن لمجال هذا العلم مع مراعاة الشروط المطلوبة في ذلك، على اعتبار أن المصطلح القرآني أدق في المعنى، وأغزر في العبارة وأيسر في الاستعمال، وأكبر من كل هذا أن الحق سبحانه وتعالى اختاره واستعمله وعلمنا إياه، **{وَمَنَ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً}**[3]

1- سورة الأنبياء، الآية 79.

2- سورة يوسف، الآية 36.

3- سورة النساء الآية 122

المثال الثاني : منهجية ابن خلدون في تجديد المصطلحات ومدلولاتها، حيث يقول علي عبد الواحد وافي بهذا الخصوص : " لما كانت بحوث ابن خلدون في الاجتماع قد انتهت به إلى أفكار وآراء جديدة، لا يوجد في الكلمات المألوفة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً اضطر إلى أن يشتق من بعض الأصول العربية مفردات لم يسبق اشتقاقها منها...وقد عبر ابن خلدون نفسه عن هذه الضرورة، إذ يقول في أثناء حديثه عن أهل التصوف: "ثم إن لهم مع ذلك آدابا مخصوصة لهم واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يَتَيَسَّرُ فهمه منه".[1] فالرجوع إلى المصدر واستعمال الاشتقاق وما تيسر فهمه، يفي بالغرض في هذا الباب كما ونوعا، وفي المصطلح القرآني آيات للسائلين، منه اشتق ابن خلدون مصطلحاته لمفاهيمه الجديدة حيث استعمل كلمة "العمران" في الدلالة على الاجتماع الإنساني، و "علم العمران" على البحوث التي تدرس وقائع هذا الاجتماع والاطلاع على القوانين المتحكمة فيها، و "العصبية " على القوة والمنعة الناشئتين من أواصر اللحمة بين أفراد العصبة. ولكل هذه المصطلحات أصل قرآني.

المثال الثالث : منهجية تتبع التطور والتجدد اللذين هما من سنن حياة البشر عموما والاجتماع الإنساني على وجه الخصوص. ومن خلال هذه المنهجية ينبري إشكال التجديد في الدال أم في المدلول، سيما وأن علم الاجتماع يعالج ظواهر متغيرة بخلاف العلوم المادية الأخرى التي تعالج ظواهر مستقرة. فالدال رسما لا يتغير وإنما المفاهيم هي التي يطالها التغيير، وهي التي تسهم في تغيير العقليات ومنها إلى تغيير المواقف والسلوك. إلا أن هذه المنهجية لا بد وأن

1- عبقريات ابن خلدون، على عبد الواحد وافي، عالم الكتب، القاهرة، 1973

تؤطرها معالم محددة حتى لا تخلط على الناس مفاهيمهم وتبقى لصيقة بالمعاني التي يرشح بها المصطلح القرآني كمرجع أسمى.

المثال الرابع: من المفترض أن توثيق هذه العلاقة ينبني في بعض جوانبه، بالنسبة للمشغلين بعلم الاجتماع على وجه الخصوص على ما يلي:

1) الدراية بكتاب الله عز وجل من مختلف الجوانب، حيث أنه عندما يغوص الباحث فيه فإنه ينير له السبيل. ولا يفوت هنا أن نذكر بما كان للقرآن الكريم من كبير الأثر على أعمال ابن خلدون رحمه الله، وأن نذكر كذلك ببعض الدعوات التي نحت منحى إبعاد القرآن الكريم عن حقول "العلم والمعرفة"، وتقديم تأويلات مغرضة حتى في شأن عالم كابن خلدون. يقول في هذا الصدد ناتانيل شميت، وهو أستاذ بجامعة كورنل بأمريكا، عن ابن خلدون: "إذا كان يذكر خلال بحثه كثيراً من آيات القرآن، فليس لذكرها علاقة جوهرية بتدليله، ولعله يذكرها فقط ليحمل قارئه على الاعتقاد بأنه في بحثه متفق مع نصوص القرآن "[1]، فلماذا هذا التشكيك؟ لنشك في منهجية قراءة ابن خلدون للتاريخ، لا، بل نشك في موضوعية هذا الأستاذ لكونه استعمل لفظة "لعله".

2) تغليب استعمال المصطلح القرآني، مبنى ومعنى في حقل علم الاجتماع، وهو مسؤولية المشتغلين بعلم الاجتماع من مدرسين وباحثين، في دروسهم، وفي مقالاتهم، وفي أبحاثهم، وفي محاضراتهم وكذا في المقررات الدراسية والمؤلفات المتخصصة. فبالاستعمال يترسخ المصطلح وينتشر ويكون

1- ابن خلدون إسلاميا، عماد الدين خليل، ص6

له الغلبة طوعاً أوكرها من باب **{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلتُمُوه فَإِنَكُمْ غَالِبُونَ}**[1].

3) الإسهام في بناء حقل معرفي واسع في مجال علم الاجتماع، تكون مفاهيمه ومصطلحاته وثيقة العلاقة بالمصطلح القرآني، ولا ننتظر إنتاج المصطلح هنا أو هناك ثم نعمل على تعريبه أو ترجمته مع نقل رسوبياته المفاهيمية عند استعماله. ذلك أن من وضع المصطلح مفهوما أو مبني هو الذي يحدد حمولته، وكلما كانت الجهة الواضعة له تتمتع بالقوة الثقافية والحضارية، كان المصطلح أكثر استعمالا واتساعا. لقد ذكر المرحوم محمد عابد الجابري في إحدى محاضراته بالرباط بمناسبة دعم القضية الفلسطينية، أنه لأول مرة مند حقبة طويلة دخل مصطلح عربي إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية وهو "الانتفاضة"، الذي لم يجد له الغربيون مقابلا فاستعملوه كما هو. وفي موسوعة ويكبيديا نقرأ: " انتفاضة، مصطلح عربي يدل على (ثورة) وهو حقيقة كبرى في إطار الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي". وفي محرك البحث " غوغل " هناك 4,5 مليون نتيجة عندما نبحث عن مصطلح "انتفاضة". وفي القاموس الفرنسي لاروس: "انتفاضة ثورة شعبية بالبلدان العربية ضد نظام قمعي أو عدو خارجي". ولم يشر هذا القاموس إلى الأصل الذي هو الانتفاضة الفلسطينية ضد آلة القمع الصهيونية. فما نقشته في معاجم الغرب قوة الحجر، لم ينقشه ضعف إبداع البشر. فعندما تكون الأمة قوية ثقافيا وحضاريا فإن ذلك ينعكس على لسانها فتصبح له سطوة على ما سواها. يضرب الأستاذ محمد حميد الله رحمه الله مثلا بهذا الخصوص فيقول: " إن متاحف الشرق والغرب تحتفظ بعملات ضربت بكلمات عربية، أقدمها يعود

1- سورة المائدة الآية 23

للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ. ولا شك أن أكثرها إثارة للاهتمام هي تلك التي ترجع لملك انجلترا "أوفى" الذي عاصر شارلمان والمنصور وهارون الرشيد العباسيين، حيث ضرب سكة ذهبية على شاكلة الدينار العباسي، تحمل في وسطها اسم الملك "أوفى ريكس" باللاتينية، وحوله بالعربية كلمة التوحيد " لا إله إلا الله "... وتوجد هذه القطعة النقدية حاليا بالمتحف البريطاني بلندن[1]. وأورد الأستاذ حميد الله صورة لها بكتابه الذي أخدنا منه هذا المقتطف.

4) إخراج المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية لحيز الوجود ليكون مرجعا للباحثين والدارسين، لترسيخ استعمال المصطلح القرآني في الحقل المعرفي لعلم الاجتماع، من بين سائر العلوم الأخرى.[2]

5) إحداث منتدى افتراضي على الشابكة بموقع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، خاص بالمصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم، يكون امتداداً لهذا المؤتمر وتنزيلا لمخرجاته على أرض الواقع.

المصطلح القرآني أجل وأسمى، وخير وأبقى

ونسوق في هذا الباب الأمثلة التالية:

1- مصطلح البروليتاريا وهو وارد بهذا الرسم في المعاجم العربية وأدبيات علم الاجتماع، وقصد به واضعوه الطبقة الاجتماعية التي تتكون من الأجراء والعاطلين وعمال الفلاحة وصغار الفلاحين الفقراء. وهي الطبقة التي لا تملك إلا قوة عملها، تقايضها لكي تحصل على وسائل العيش.

1- Six originaux des lettres diplomatiques du Prophète de l'Islam, Muhammad Hamidullah, première édition Paris, 1406h, 1986, page 58

2- هناك حاليا مشروع القواميس العلمية التخصصية الذي تشرف عليه المنظمة العربية للترجمة -بيروت -لبنان.

فواضع هذا المصطلح رجع إلى أصوله اللغوية ليبحث عنه ويضمنه المفهوم الذي أراد. فهو تكلم عن مفهوم وألبسه مصطلحا ذا أصل لاتيني وهو " بروليتاريوس " الذي كان يدل على الطبقية الدنيا في المجتمع الروماني والتي يشكل أبناؤها ثروتها الوحيدة. فالمصطلح القرآني المقابل للبروليتاريا لم يستعمل قط، على حسب علمي، لا في المعاجم العربية ولا في المؤلفات العربية المتعلقة بعلم الاجتماع. وهذا العزوف المصطلحي ينم عن تبعية هالكة وكسل كاسد. يقول الله عز وجل: **{الذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَوّعِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ فِي الصَدَقَات والذِينَ لاَ يَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَالله مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}**[1]. فمصطلح "الجهدية" هنا أشمل وأعم، ومنه تشتق الصفة المشبهة " الجهدي " (البروليتاري) و" الجهديون" البروليتاريون. وكان المصطلح القرآني أشمل وأعم لأنه لا يقف عند الأجير وعامل الفلاحة، بل يتعدى أولئك إلى كل شخص أو فئة اجتماعية لا تملك إلا جهدها لكسب رزقها، سواء كان عضليا أو فكريا.

2- مصطلح الصراع الطبقي، الذي هو مصطلح كثر تداوله وأصبح يشكل إحدى المسلمات في التفسير الاجتماعي لوقائع تاريخية أو آنية. هذا المصطلح الذي يجسد الصدام الاجتماعي ويرسخ فكرة حتميته، حتى صار نظر الباحث مغشى به، يسقطه على جميع المجتمعات موضوع بحثه. فهذا المصطلح هو في نفس الوقت مفهوم وتفسير، وهذا الخلط جعل التفسير يسبق المفهوم في كثير من الأحيان. فتفسر الواقعة الاجتماعية تفسيراً ينزلق بها ويحيد عن الموضوعية، عندما تفسر الواقعة في عمومها دون الرجوع إلى خصوصيات المجتمع الذي ظهرت فيه. فحري بالمشتغلين بالدراسات

1- سورة التوبة، الآية 79

الاجتماعية، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمجتمعات المسلمة أن يشتغلوا من منظور مصطلح " التفاضل" الذي هو مصطلح قرآني يؤصل لمفهوم مخالف، حيث يدعو إلى فهم التباينات الاجتماعية والتعامل معها بواقعية، من شأنها أن تعزز التآزر والتعاون بين سائر مكونات المجتمع البشري، عوض الزج بها في أتون يؤجج الصراع ويجعله قاعدة التعامل. والقول الفصل عندما قال جمع من الصحابة رضي الله عنهم لرسول الله صلى الله وعليه وسلم : "يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور... " وبعد الأمر والفعل والحوار، قال عليه الصلاة والسلام **{ذَلِكَ فَضْل الله يُوتِيهِ مَنْ يَشَاء}**[1] والتفاضل هنا لا يستدعي حتمية التصادم بقدر ما يؤسس إلى التضامن والتآزر **{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَائِلِ والمَحْرُوم}**[2] ومفهوم التفاضل هنا لا يستدعي الخضوع والخنوع، بقدر ما يعزز مفهوم الحق، حق الفقير في مال الغني، هذا الحق الذي لم تشر إليه الصكوك الدولية الحالية المتعلقة بحقوق الإنسان.

3- مصطلح الكرامة الإنسانية، وهنا نتكلم عن الدال والمدلول، فكثيرة هي أدبيات ومواثيق حقوق الإنسان التي تطرقت إلى هذا المفهوم، لكنها لم ترق جميعها إلى المضمون الذي أقره القرآن الكريم عندما نسب الله سبحانه وتعالى تكريم ابن آدم إلى ذاته العلية، ولم يوكل بذلك أي مخلوق آخر، تعظيما لمدلول الكرامة هاته. ولا أكبر في كلام البشر ولا أشمل حتى في أحدث ما تفتق عنه الفكر البشري في مجال حقوق الإنسان، مما قاله رسول الله صلى الله وعليه وسلم في كرامة المسلم: عن عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ ﷺ قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ: مَا

1- سورة الجمعة، الآية 4

2- سورة الذاريات، الآية 19

أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا". رواه ابن ماجة[1]

الأخطار والمزالق

1- افتتان الناس بالمصطلح الوافد " ذلك الافتتان الذي يبدأ هينا ميسوراً ثم يتطور ويتضخم حتى يقف لمواجهة عقيدة التوحيد الخالصة في الإسلام كنقيض لها."[2]، ذلك المصطلح الحمال ليس فقط لمعان محددة بل كذلك لتمثلات اجتماعية وثقافية، توحي للخلق، في بعض الأحيان، بما هو غير الحق.

2- استعمال المصطلح القرآني رسما والإخلال بمضمونه أو حتى قلب مفهومه. فالموازين **{ونَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطِ لِيَومِ القِيَامَةِ}**[3] أصبحت علما على "تظاهرة ثقافية" أثارت جدلا واسعا داخل المجتمع المغربي، ولا يهمنا هنا إقحام الذات في الحكم، إنما نتتبع استعمال المصطلح القرآني وكيف انتقل من مفهوم إلى مفهوم. ولا تهمنا التظاهرة في حد ذاتها، بقدرة ما يهمنا مدلولها الاجتماعي والرسائل التي تبعث بها وما يرسخ في أذهان الناس من تلبيس إبليس. إن المصطلح القرآني له قدسيته.

1- قال ناصر الدين الألباني: هذا، وقد كنت ضعفت حديث ابن ماجه هذا في بعض تخريجاتي وتعليقاتي قبل أن يطبع " شعب الإيمان"، فلما وقفت على إسناده فيه، وتبينت حسنه، بادرت إلى تخريجه هنا تبرئة للذمة، ونصحاً للأمة داعيا: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ، وبناء عليه، ينقل الحديث من " ضعيف الجامع الصغير" و" ضعيف سنن ابن ماجه" إلى صحيحيهما.

2- مقال في العدل الاجتماعي، عماد الدين خليل، دار الرسالة 1979، ص 18

3- سورة الأنبياء الآية 47

3- استعمال مضمون المصطلح القرآني، الذي نبه الله تعالى به العباد من السقوط، استعمالا لأمر يراد. فعلى سبيل المثال هناك برنامج بإحدى القنوات العربية يسمى «Arab Idol» وهو برنامج على شكل مسابقة لصناعة "الرموز الثقافية" المستقبلية العربية. فتسمية هذا البرنامج تقدم هكذا بالرسم العربي" أراب أيدول" ومعناها "صنم العرب " أو ' وثن العرب '، وتقديم هذه التسمية مترجمة بمعناها إلى العربية كان سيلقى معارضة شديدة من جهات عدة، فارتأى أصحابه أن يبقوا على تسميته بالإنجليزية، مع كتابتها بالحرف العربي، لأن ذلك أسلك في عقول الناس. لكن العاقل منهم يدري أن الأمر يتعلق حقا بصناعة " المثل "، "النموذج الحي للاقتداء " عن وعي أو غير وعي، **{قَالوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِين}**[1] الساعات الطوال أمام الشاشة، وإن قال قائل، ولو غيرة أو جرأة **{وَتَاللهِ لَأَكِيدِنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}**[2] ، كان نعته جاهزا وأصبح من المنبوذين.

4- تحوير مفهوم المصطلح القرآني وإلصاق نعت قدحي به لصرف حتى المسلمين عن استعماله. وأسوق هنا مثالين للتدليل: **{إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين}**[3] فمصطلح "الإخوان" أصبح لدى فئات عريضة من بني جلدتنا وغيرهم يدل على الشر والكراهية والإرهاب. **{فَإِنَ حِزْبَ الله هُمُ الغَالِبُونَ}**[4] فمصطلح " حزب الله " بغض النظر عمن شخص هذا المصطلح، لأننا نهتم هنا بالمصطلح وبالمصطلح فقط، قد أصبح منبوذا في المحافل الدولية وقورن

1- سورة الشعراء الآية 71
2- سورة الأنبياء الآية 57
3- سورة الحجر الآية 47
4- سورة المائدة الآية 56

بمصطلح الإرهاب، فخاف الناس واشمأزوا، وأصبح المصطلح القرآني محل تعريض وتشنيع، يتحاشى أهله استعماله، ويضعه غيرهم في خانة المنبوذات.

5- خطر الانغلاق و الانطواء: من فرط الخوف من المصطلح الوافد يمكن أن يشكل هذا الخوف نوعا من الانغلاق ورفض ما يمكن أن تُنتجه باقي مكونات الإنسانية، فلربما تكون في طي هذا المنتوج نعمة تطلب أو معرفة تقوم وتسدد، وهنا يبرز دور علماء الأمة ليبصروا الناس بذلك. يقول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني في مذكراته: "عندما أمرت بتدريس الفلسفة في مدرسة مليكة شاهانه، تمرد الطلاب جميعهم وقالوا: يريدون أن يجعلونا كفاراً. ولكني كنت أعرف أن الكفر ليس في العلم ولكنه في الجهل. وتمسكت بتدريس الفلسفة. ودرسوها مع تعديل في الاسم. غيرنا الاسم إلى (الحكمة). كما أمرت بتدريس هذه الدروس في الجامعة باسم (الفيزيقا)".[1].

6- خطر التكييف وذوبان المصطلح والمفهوم الوافد في لسان الأمة وفكرها. وهنا يقوم الإعلام، بسطوته وجبروته، بدور كبير في هذا المجال، علما أو جهلا، عن طريق التكرار والاستنزاف، فيترسخ المفهوم، كما دبر بليل، من خلال المصطلح ويصير استعماله متعودا لا حرج فيه. وهنا يبرز كذلك دور علماء الأمة في التدليل والإرشاد، هؤلاء العلماء الذين قال عنهم الأستاذ الشاهد البوشيخي: " ومن رجالها -وهم القلة النادرة -من يقفونه في حدود الأمة الحضارية للسؤال، والتثبت من الهوية وحسن النية، ودرجة النفع، وقد يتعقبونه في مختلق المجالات والتخصصات التي قد يكون عشش فيها أو باض وفرخ بغير حق، فإن سويت وضعيته -كما يقولون -فذلك، وإلا طهر فكر الأمة

1- مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب-دار الأنصار – القاهرة، 1978

منه فإنه رجس "[1]. ونقرأ لأسعد سيد أحمد، الناشر لمذكرات السلطان عبد الحميد على ظهر الغلاف: "هذه مقتطفات من مذكرات السلطان عبد الحميد التي تنشر لأول مرة محققة بعد أن وصفه اليهود بحكم الفرد المطلق، والمستبد الأعظم، والاستعمار العثماني، وعهد الجاسوسية والحريم... ومن ثم وقر في قلب المسلمين عامة والعرب خاصة هذه المفاهيم... ثم قالوا بها !! "

خـــاتمـــة

ولا أجد خاتمة أفضل مما كتبه عماد الدين الأصفهاني حيث يقول: " إنني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر. "[2]

1- نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي دراسات مصطلحية 2، ص 9.

2- ذكره علي القاسمي في مقاله: المترجم والمعجم، شيخ المترجمين العرب منير بعلبكي ومعجمه المورد، مجلة اللسان العربي، عدد 77، مكتب تنسيق التعريب، 2016

المصادر والمراجع

1 - كتاب الله عز وجل برواية حفص
2 - أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، الطبعة 3 المكتب الإسلامي
3 - أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، محمد عبد الواحد حجازي، الطبعة 2، ص10
4 - أسلمة المعرفة، إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية، الكويت، 1983.
5 - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة 1398 هـ / 1977 م.
6 - عبقريات ابن خلدون، على عبد الواحد وافي، عالم الكتب، القاهرة 1973
7 - العقل وفهم القرآن، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي دار الكندي، دار الفكر، طبعة 3، 1982
8 - القرآن الكريم والدراسة المصطلحية، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية4
9 - مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب، دار الأنصار، القاهرة، 1978
10 - مصطلح الأمة بين الإقامة والتقويم والاستقامة، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 8
11 - منهج البحث بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد أمزيان، المعهد العالي للفكر الإسلامي 1412 / 1991 م
12 - مع سيد قطب في فكره السياسي والديني، مهدي فضل الله، مؤسسة الرسالة الطبعة 2، 1979
13 - مع القرآن الكريم، شعبان محمد إسماعيل، دار الإتحاد العربي للطباعة 1978
14 - مستقبل اللغة العربية، عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1425هـ/ 2004 م

15 - معجم كلمات القرآن الكريم - محمد زكي محمد فضر، 1426 هـ، 2005م.
16 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي.
17 - المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد جاد المولى وآخرون، دار أحياء الكتب العربية، عيسى البابلي وشركاؤه، ج1، ص 201.
18 - نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 5.
19 - نحو تصور حضاري للمسألة المصطلحية، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 3.
20 - نظرات في المصطلح والمنهج، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 2
21 - نظرات في قضية المصطلح العلمي في التراث، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية 6.
22 - نظرية التبعية بين القرآن الكريم وعلم الاجتماع، صالح المازقي، 2012.

1 - L'islam et la morale universelle, Abdelaziz BENABDALLAH, Najah Jadida 1966

2 - Les enjeux du siècle nouveau, Mongi Bousnina, première édition, ALECSO, Tunis, 2007

3 - L'islam, concepts et préceptes, Abdelaziz BENABDALLAH, Mission de l'islam volume II, 1ère édition, 1995

4 - Six originaux des lettres diplomatique du prophète de l'Islam, Muhammad Hamidullah, première édition Paris 1406 h/1986.